تاريخ دنقلا العجوز

بعد تفكك مملكة مروي الكوشية في القرن الرابع الميلادي، تم تشكيل أنظمة سياسية صغيرة عبر وادي النيل الأوسط، برزت منها ثلاث قوى مركزية. سيطرت نوباتيا على أقصى الجزء الشمالي بين الشلال الأول والثاني ومركزها فرس، ثم المقرّة بين الشلالين الثالث والخامس وعاصمتها دنقلا العجوز وأخيراً مملكة علوه جنوب الشلال الخامس وعاصمتها سوبا. والشلالات هي المنحدرات الصخرية حيث يصعب التنقل في النهر، وكانت تقليدياً حدوداً سياسية وثقافية في وادي النيل. وبحلول منتصف القرن السادس الميلادي تم تنصير الممالك الثلاثة وكانت علاقاتها ببعضها البعض تنافسية.

تأسيس عاصمة مملكة المقرّة: القرن السادس – التاسع الميلادي

تم تأسيس دنقلا (تُنجل باللغة النوبية القديمة، دنقلا بالعربية، دنقلا العجوز كما تُسمى اليوم) كعاصمة لمملكة المقرّة في مستهل القرن السادس الميلادي. وبحلول القرن السابع الميلادي اندمجت المقرّة مع نوباتيا ووسّعت أراضيها حتى بلغت 100،000،0 كيلومتراً مربعاً (238،095،238 فدانًا) - أي ما يعادل حجم الأراضي المشتركة بين فرنسا وإسبانيا. وقد كانت واحدة من أكبر الدول في العصور الوسطى في جميع أنحاء العالم.

خريطة السودان.
(خريطة: ت. فوشيه)

نقطة استراتيجية للتجارة وإنتاج الغذاء. وهي متاخمة لحوض لتي الخصب تقع العاصمة في من الجهة الجنوبية. كما إنها تواجه عبر النهر من جهة الغرب نقطة هامة تجنمع عندها طرق القوافل التجارية القادمة من جنوب غرب كردفان عبر وآدي المقدم و وآدي الملك، و كذلك الطرق التجارية القادمة من دارفور عبر وآدي هور، ومن ثم تتوحد هذه القوافل في الطريق المعروف اليوم بإسم درب الأربعين (طريق 40 يومًاً) كي تواصل المسير شمالا حتى أسيوط في مصر. هذا وقد وفّر حوض لتي مساحة شاسعة من الأراضي الصالحة للزراعة

لدعم اقتصاد المملكة الكبيرة. وبصورة عامة، تقتصر تلك الأراضي على خطوط ضيّقة على ضفتي نهر النيل في السودان، باستثناء بعض المناطق التي تتكون فيها بعض الأحواض، حيث تحظى الأراضي الواسعة البعيدة عن النهر بكميات وافرة من المياه.

كانت الجدران الضخمة يبلغ ارتفاعها في الأصل 10 أمتار وسمكها 5 أمتار، وقد شُيدت بالحجارة الرملية والطوب اللبن حول الهضبة الصخرية. وتم تدعيم الأسوار بإضافة عدة أبراج. وكانت التحصينات الحجرية تحيط بقلب المملكة، مقر حكامها. بقيت الجدران التي بُنيت لاحقاً حول المنطقة السكنية على تل القلعة قيد الاستخدام حتى القرن السابع عشر الميلادي. وتم، داخل 4,5 هكتار (10,8 فدان)، إنشاء مركز إداري ومجمع قصر ملكي وكنيسة ملكية ومبنى تذكاري (مبنى الصليب).

بعد وفاة النبي محمد عام 632 (11هـ)، قامت القوات العربية بغزوات أخرى خارج حدود أرض الحجاز (السعودية حالياً)، وقاتلت ضد الإمبراطوريتين البيزنطية والفارسية. بينما أصبحت منطقة الهلال الخصيب ومصر تحت سيطرة العرب، صمدت المملكة النوبية في وجه الغزوتين العربيتين. قاد الفتح الأول عمرو بن العاص عام 642، مما تسبب في خسائر فادحة في الجانب العربي. ويسجّل المؤرخ العربي أحمد الكوفي أن العرب لم يسبق لهم أبداً أن تكبدوا خسارة مثل تلك التي عانوا منها في النوبة. قاد عبد الله بن سعد بن أبي السرح الحملة الثانية إلى إقليم المقرّة، وانتهى هذا الغزو بمعاهدة السلام (البقط) بين ملك المقرّة كالدوروت وعبد الله بن سعد بن أبي السرح. كانت البقط عبارة عن اتفاقية تجارية حددت البضائع واستعبدت البشر للتبادل. وجلبت المعاهدة السلام للممالك النوبية لمدة تزيد عن 400 عام.

لقد تم تشييد مبنى القصر في الموقع المطل على النيل من الطوب المحروق والطوب اللبن والكُتل الحجرية. وقد كان يتألف من غرف للتخزين في الطابق الأرضي، ومساحات سكنية في الطابق العُلوي. وكان الطابق الأرضي يحتوي على ممر طويل وحجرات قبابية وسقف مرتفع (يصل إلى 4,5 متر) مضاء بنوافذ كبيرة مُقوّسة. وقبل ذلك، كانت طبيعة العلاقة بين نوباتيا

شيدت الجدران المتينة بارتفاع يصل إلى 10 أمتار. (تصوير: ت. فوشيه)

طوقت الحصون قلب عاصمة المقرة. (تصوير: أ. جلينسكا)

والمقرّة تنافسية، غير أن غزو نوباتيا في القرن السابع ميلادي جعل من السهل الوصول إلى تشير الأمفورات (القوارير الضيّقة) المصنوعة محلياً مصر وطرق عوالم أوسع لملوك المقرّة. إلى أن النبيذ كان ينتج أيضاً في دنقلا.

بحلول منتصف القرن السادس الميلادي، قرر الملوك النوبيون اعتناق المسيحية كديانة مما أتاح لهم فرصة المعاملة على قدم المساواة مع الحكام المسيحيين الآخرين. ومن خلال الاتصالات مع أساقفة الإسكندرية، تم إنشاء الأسقفيات في المقرّة، وتم بناء العديد من الكنائس (مثل الكنيسة القديمة، والكنيسة الفسيفسائية، والكنيسة المُبكّرة، وكنيسة أعمدة الجرانيت)، خارج التحصينات في دنقلا. وتظهر الهندسة المعمارية واللوحات الجدارية تأثيراً قوياً للثقافة البيزنطية جنباً إلى جنب مع الثقافة النوبية، مما خلق أسلوباً فنياً فريداً. وفي

كان تقع القصر الملكي يتموقع بداخل الأسوار. (تصوير: ف. قودليفسكي)

الطرف الشمالي الشرقي من المدينة، تم إنشاء الدير أيضاً في هذه الفترة. وعلى مدى تاريخ المملكة، تم بناء ما لا يقل عن اثنتي عشرة كنيسة في دنقلا، تم تجديد بعضها أو إعادة بنائها بمرور الوقت.

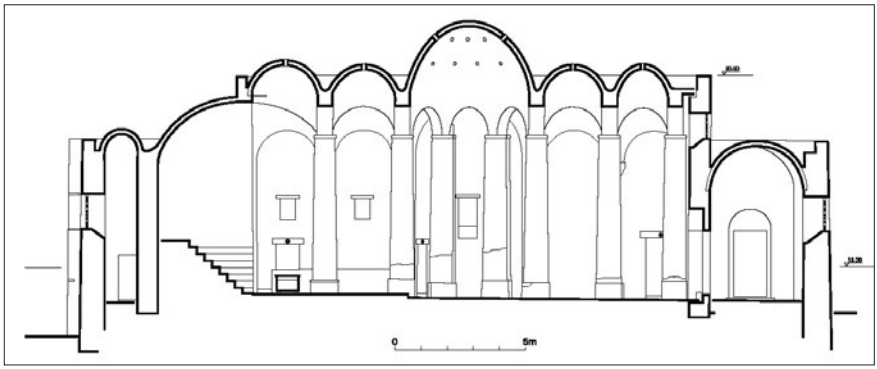

كنيسة أعمدة الجرانيت (تصوير: ف. إياركى. رسم: ب. م. قرتكيفش و م. بوشكرسكي)

وبجانب القصر، تم تشييد الكنيسة الملكية المُخصصة لرئيس الملائكة رافائيل في القرن التاسع الميلادي. هذا وتُزيّن الكنيسة أكثر من 40 لوحة جدارية ونقش بالطراز البيزنطي والنوبي القديم. تُشير الألوان المستخدمة في اللوحات إلى ثروة الملك وشبكة التجارة الواسعة التي انخرطت فيها مملكة المقرّة. وعلى سبيل المثال، تم استيراد الرصاص الأحمر من إسبانيا

تجسيد ملك المقرة في الكنيسة الملكية باستخدام أصباغ رائعة مستوردة. (تصوير: ت. فوشيه)

كشفت اللوحات تدريجياً عن الرسوم الجدارية في الكنيسة. (تصوير: م. ركوايتس)

تم استجلاب منبر الجرانيت والحجر المنحني في الكنيسة الملكية من معبد كوشي في مكان آخر. (تصوير: ت. فوشيه)

واللازورد الأزرق من أفغانستان – ويُعتبر هذا الأخير أغلى صبغة (طلاء) فقد كان يتم وزنه بالتساوي مع الذهب. وعلى الجانب الأيسر من الكنيسة نجد المنبر، حيث يقف الكاهن لتقديم المواعظ، مبنياً من كُتل حجرية من الجرانيت تم جلبها من معبد كوشي غير معروف.

تم بناء المنازل داخل وخارج الجدران. كيف بدت البيوت داخل الحصن؟ على سبيل المثال، كان المنزل A.106، الذي تم بناؤه في منتصف القرن السابع الميلادي، عبارة عن مبنى من طابقين (10 م × 11.4

جزء من شبك النوافذ من الطين المحروق تم العثور عليه في البيت A.106
(تصوير: ف. قودليفسكي)

م)، وكانت به أربع حجرات متصلة ببعضها في الطابق الأرضي. وتم تركيب عارضة خشبية منحنية في مدخل إحدى الحجرات، وفي ركن حجرة أخرى كانت هناك فتحة مرحاض تقع في الطابق العلوي. كان سقف حجرة الطابق العلوي مدعوماً بعمود بقاعدة من الحجر الرملي. وقد تم تلبيس الجدران بدقة، وزُينت شبكات النوافذ في الطابق العُلوي. الصورة 30.

ذروة عاصمة المقرّة من القرن التاسع إلى منتصف القرن الحادي عشر

ازدهرت دنقلا بشكل كبير خلال الفترة ما بين القرن التاسع حتى منتصف القرن الحادي عشر ميلادي. وشهدت دنقلا مشاريع بناء معمارية ضخمة واسعة النطاق، وأصبحت المدينة مركزاً دينياً مهماً. وفي العهد المشترك لزكريا وجورجيوس الأول (835-856) على وجه الخصوص، تم بناء أكثر المعالم تمثيلاً في دنقلا، وهي كنيسة الصليب والكنيسة التي تحولت فيما بعد إلى مسجد.

تم بناء كنيسة الصليب في القرن التاسع الميلادي خارج الحصن مباشرة. كان يُعتقد أنها أكبر كنيسة بنيت في النوبة حتى تم اكتشاف كنيسة أكبر في القلعة في عام 2021. ونلاحظ الفناء المركزي القبابي مُحاط بأروقة. وكان الجانب الشرقي عبارة عن كنيسة صغيرة فوق أقبية. تم تدمير الهيكل الأصلي أثناء الغزو المملوكي عام 1286م ولم تحافظ إعادة الإعمار، التي تمت لاحقاً، على أهمية المبنى الأولي.

وقد تم بناء أكثر المباني لفتاً للأنظار في مدينة دنقلا العجوز في عهد الملك جورجيوس كنيسة في الدور العُلوي لصرح من طابقين. وعلى النتوءات الصخرية التي.(835-887) يبلغ ارتفاعها 12 متراً، خضع هذا النصب التذكاري المستطيل (28 م × 18 م) لتغييرات وتجديدات وإعادة بناء لفترة تزيد عن ألف عام. أعاد الفريق البولندي إنشاء الخُطة الأصلية بناءاً على 13 عاماً من التوثيق والتنقيب. كان الطابق الأرضي يحتوي على قاعة

الشكل المعاد بنائها للكنيسة الصليبية. (تصوير: د. جلينسكا و ك. كلافورا-جبكا)

مربعة في الوسط، متصلة برواقين ويمكن الوصول إليها من خلال مدخل شرقي. هناك مدخل آخر يوجد على الجانب الغربي مرتبط مباشرة بالسلالم المؤدية إلى الطابق الأول. تم تزيين جدران السلالم بلوحات متعددة الألوان لقدّيس يق منتصباً يحمل رمحاً وقدّيس محارب على صهوة جواد. على جدران الغرفة المركزية في الطابق الأوّل، تم العثور على صور ميلاد السيد المسيح والسيدة مريم العذراء وهي تحمل المسيح الذي يمد يده إلى التمور المتدلية من نخلة بالإضافة إلى أشكال ملكية، تُعتبر تجسيداً مثيراً للغاية وهو الوحيد من نوعه في العالم. تتمتع شجرة النخيل بأهمية رمزية في وادي النيل الأوسط منذ مملكة كوش (الفترة مروى) (على أقل تقدير)، عندما تم تصوير سعفة النخيل في مشهد طقسي. وما زالت حتى يومنا هذا يتم وضعها فوق القبر في الجنازة ومناسبات الأعياد. ولا تزال أهمية شجرة النخيل في الاقتصاد المحلي - المحصول النقدي الرئيسي ومواد البناء والأثاث - واضحة في المجتمعات المحلية الحديثة. هذه اللوحات الجدارية بالكاد تكون مرئية بسبب حالة الحفظ السيئة.

يقع مجمع الدير في الطرف الشرقي من المدينة. وقد قام بتأسيسه أُسقف دنقلا في القرن السادس الميلادي. وقد استمرت وظيفته الرهبانية حتى القرن الثالث عشر الميلادي. هذا كما أن المجمع الكبير المحاط بجدار لم يتم التنقيب عنه بالكامل. تم حتى الآن، بشكل كامل أو جزئي، فحص كنيستين، دير القديسة أننا، الملحق الشمالي الغربي، الملحق الجنوبي الغربي بالإضافة إلى المقابر، بينما ينتظر المُربعّ السكني للرهبان التنقيب.

تُعتبر كنيسة الدير واحدة من أقدم الأبنية المعمارية التي شُيدت في المجمع بعد التنصير بفترة وجيزة، وتم تجديدها في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، وقد استخدمت حتى

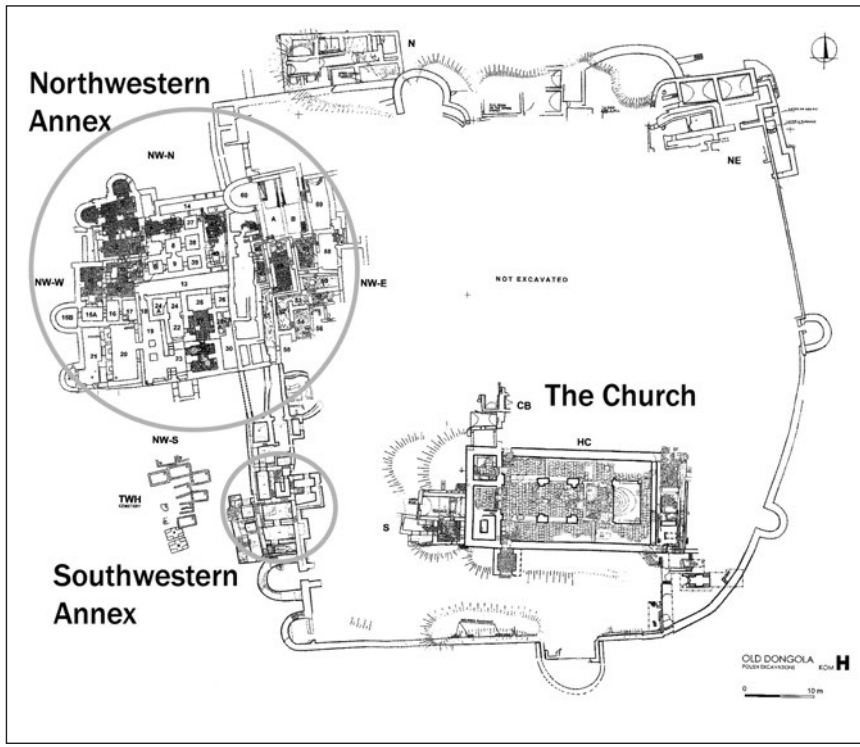

المخطط الداخلي لمجمع الدير. (رسم: م. بوشكرسكي)

القرن الرابع عشر الميلادي. لقد كانت في الأصل بازيليكا (مبنى مستطيل ذو أعمدة مزدوجة وحنية شبه دائرية) بها برج مركزي مدعوم بأربعة أعمدة. في غرب الكنيسة تم تكريم قديسة اسمها أننا بعد وفاتها وتم بناء كنيسة صغيرة. وتُعتبر القدّيسة أننا هي أول قدّيسة من المقرّة معروفة بالنسبة لنا حتى اليوم.

خضع مجمع الدير لتوسعة كبيرة في الفترة من القرن العاشر إلى القرن الثالث عشر الميلاي عندما أُضيف كل من الملحق الشمالي الغربي والملحق الجنوبي الغربي في الناحية الغربية. وقد تم تزيين هذه المُلحقات ببذخ بأكثر من 100 لوحة متعددة الألوان، تُعتبر مصادراً هامةً لفهم النوبة المسيحية والجودة الفنية العالية للفن النوبي. وعلى الرغم من وضوح تأثير التقنيات والتصورات الفنية البيزنطية والمصرية بشكل جلي، إلا أن اللوحات تُظهر بعض الاختراعات الأيقونية النوبية الفريدة.

تم تطوير الملحق الشمالي الغربي، من خلال أعمال البناء المتتالية التي جرت على مدى بضعة قرون، وهو يتألف من عدة كنائس صغيرة كانت لها وظيفة تذكارية وأصبحت وجهة حج مهمة في دنقلا. يضم المُلحق سلسلة من المساحات المقدّسة. كان رئيس الملائكة ميخائيل، حامي البشر، شائعاً، ويظهر إسمه كثيراً في النقوش على الجدران والأواني، والتمائم، كما تم تكريمه في إحدى المحاريب (الكنائس الصغيرة) هنا. وتوجد باتجاه الشمال الغربي من إحدى الكنائس في هذا الملحق، كنيسة صغيرة فوق القبو حيث دُفن قورقيوس، رئيس الأساقفة، عام 1113م. لوحة جنازة تُحيي ذكرى حياة رئيس الأساقفة ومسيرته المهنية. غطيت جدران القبو بالعديد من النصوص البيزنطية والقبطية - صلاة السيدة العذراء، نص متعلق بوفاة مريم وأناجيل ونصوص سحرية. جنباً إلى جنب مع اثنين من المحاريب التذكارية والسراديب في الملحق، ربما تكون كنيسة قورقيوس قد جذبت الحُجّاج. كانت الأقبية الثلاثة عبارة عن مكان دفن لما مجموعه 19 فرداً مختلفاً، تم دفنهم في فترة زمنية تتراوح ما بين 250 و300 عام.

رئيس الملائكة ميخائيل تحت حماية الثالوث المقدس، الكنيسة الصغيرة في الملحق الشمالي الغربي (تصوير: د جلينسكا)

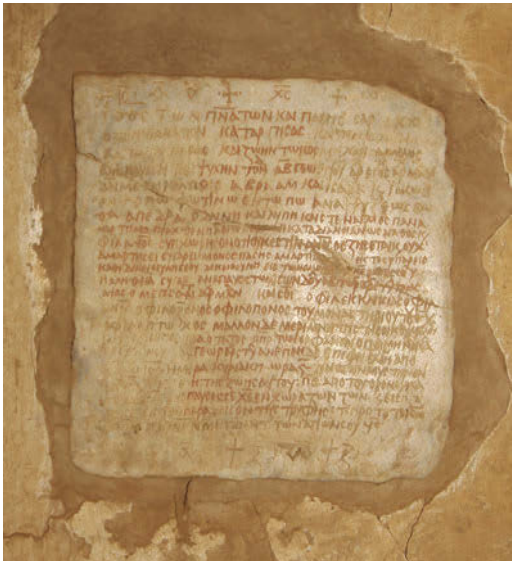

الشاهد الجنائزي للأسقف جورجيوس مكتوب بالغة اليونانية من الملحق الشمالي الغربي للدير. (تصوير: ف. قودليفسكي)

سرداب الأسقف (المطران) جورجيوس مُغطى بالنصوص اليونانية والقبطية (تصوير: ك. كلافورا-جبكا)

يقع الملحق الجنوبي الغربي بجوار البوابة الغربية لمجمع الدير، الذي تم بناؤه في القرن العاشر أو الحادي عشر الميلادي. اللوحات الجدارية المحفوظة في هذه المباني تعتبر مجموعة فريدة في نوعها. وبالتحديد إن ما يثير الإهتمام هو منظر لراقصين تظهر معهم نقوش مكتوبة باللغة النوبية القديمة. وهناك أيضا منظر للسيدة مريم العذراء و الطفل، يقف أمامها مجموعتين من الرجال يبدون في وضع يظهرهم كأنما هم يؤدون رقصة. تبدو إحدي المجموعتين وهي تضع أقنعة مزينة بنوع من الصدف البحري، مرتدية مآزر (تنورات) ذات أذيال طويلة، بينما تظهر المجموعة الأخرى وهي تضع عمائم على رؤسها وهم يرتدون سراويلا، كذلك بينهم من يرتدي تنورات أو شالات. توحي هذه المناظر بأن المجموعة الأولى تمثل حضارة مناطق جنوب الصحراء، بينما تبدو المجموعة الثانية و كأنها جزء من أفريقيا غلب عليه النفوذ العربي. كُتبت حول الأشكال سطورٌ من النقوش، ربما للتعبير عمّا ينشده الراقصون أو يتكلمون به. بناءاً على الكتابة، بدا أن الرقصة كانت لطقوس الخصوبة أو الإنجاب لأخت الملك. وتمثّل العديد من الصُور الأخرى في الملحق السيدة مريم، وتُشير النُقوش إلى أن بعض النساء قد تبرعن باللوحات.

تدهور المملكة: أواخر القرن الثاني عشر إلى القرن الرابع عشر

بدأ التدهور التدريجي لمدينة المقرّة منذ القرن الثاني عشر الميلادي. وعلى الرغم من أن باللغة العربية، إلا الكثير ما زال مجهولاً عن هذه الفترة سوى من بعض المصادر المكتوبة أنها كانت فترة تغيير اجتماعي سياسي كبير.

◀ يترنم الراقصون لطقوس الخصوبة أو الإنجاب. (تصوير: د. جلينسكا)

أدت سلسلة الغارات والغزوات الشرسة التي قام بها المماليك، وخاصة في عهد بيبرس وقلاوون، إلى زيادة التدخلات في البلاط الملكي في المقرّة في القرن الثالث عشر الميلادي. وقد وضع المماليك «دُمى» لملوك المقرّة. تُشير المصادر التاريخية إلى أنه منذ عام 1288م قاد قلاوون حملة على النوبة وهزم النوبيين ونصّب ملكاً دُمية (ملكاً صورياً) وهجر الملك سيمامون دنقلا. بوعد أن غادر جيش المماليك شمالاً، عاد سيمامون إلى دنقلا وقتل الملك العميل وأعاد سيطرته. عاد المماليك ليستردوا دنقلا وهرب ملك المقرّة مرة أخرى - لكنه استعاد سيطرته بعد رحيل الجيش. في عام 1311-1312م خلف عبد الله برشمبو، فرد مسلم من العائلة المالكة في المقرّة، سيمامون، إلا أنه سرعان ما أطاح به الشخص الملقّب بكنز الدولة الذي شهد تحويل الكنيسة إلى مسجد في عام 1317م. وأثناء هذه الصراعات دُمرّت المدينة ونُهبت.

بعد صراع طويل بين المقرّيين المتحالفين مع قبيلة بنو كنز وبنو جاد، تخلى البلاط الملكي في المقرّة عن العاصمة في عام 1365م أو 1366م. تم نقل البلاط الملكي إلى الشمال، واستقرّ بين فرس وقصر إبريم، وتمركّز حول مكان يُسمّى ضو (جبل عدا حالياً). استمرت هذه المملكة المسيحية الصغيرة لمدة 100 عام أخرى أو نحو ذلك، ربّما حتى الغزو العثماني للنوبة السفلى في أوائل القرن السادس عشر الميلادي.

تطوّر دولة-مدينة في دنقلا العجوز وسلطنة الفونج: منتصف القرن الرابع عشر إلى القرن السابع عشر

في القرن الرابع عشر الميلادي، تفككت مؤسسات الدولة في المملكتين النوبيتين: المقرّة وعلوه، إلى أنظمة سياسية صغيرة داخل الأراضي - واحدة في دنقلا. لم يقلل انهيار مملكة القرون الوسطى من أهمية المكان. وظلت كمركز سياسي وتجاري إقليمي - مملكة دنقلا. كما تطورت كمركز بارز لتعليم الإسلام. في حين كان من المفترض أن ينمو السُكّان المسلمون في

المدينة من القرن الرابع عشر فصاعداً، تعايشت الكنائس والمساجد معاً ومارست الكنائس نشاطها حتى نهاية القرن الرابع عشر الميلادي.

في مطلع القرن السادس عشر الميلادي، هزم عمارة دُنقس، الذي أسس سلطنة الفونج، علوه ووسّع السيطرة في جميع أنحاء وادي النيل الأوسط. اتفقت الفونج مع نظيرتها الشمالية، الإمبراطورية العثمانية التي هزمت المماليك في مصر عام 1517م، على وضع الحدود في الشلال الثالث في أواخر القرن السادس عشر الميلادي. أصبحت دنقلا تحت حكم سلاطين الفونج وكانت فعلياً منطقة حدودية بين القوتين.

أوليا جلبي (1611-1682م) دنقلا بأنها مدينة نابضة بالحياة تضم وصف الرحّالة التُركي 650 منزلًا في القلعة و3000 منزلاً في الخارج، وتجذب 1000 تاجراً. كان المعمار الشعبي في هذه الفترة يشتهر بأثاث داخلي وتخطيط منزلي وتقنية بناء وتخطيط مدن مختلف بمّا كان التغيير في المساحة المنزلية والتقنية بسبب تدفق تماماً عمّا هو في مدينة المقرّة. ر الناس من مختلف المناطق.

كما ذكر جلبي مكان إقامة المك. تقوم كبار السن من النساء بإلقاء الحلويات و حبوب الذرة و القمح في مياه النيل وهن يؤدين الأدعية والأبتهالات الدينية. والذي كان يقع في الجزء الشمالي من المدينة في القلعة، وقد تم التنقيب عنه جزئياً في أوائل عام 2020 م. كان المسكن مبنياً من الطوب اللبن والجدران مطلية باللون الأبيض، ويضم ثلاث غرف كبيرة مع مساحة تخزين طويلة ضيّقة في الخلف، وكان أكبر بكثير من المنازل الأخرى في المدينة. وتُشير الوديعة التي تم اكتشافها بالقرب من مسكن المك إلى وجود خيول - كانت دنقلا مشهورة بتربية الخيول. وتتيح لنا ظروف الحفظ الرائعة لهذه المنازل فهم مسار الحياة والتقنية المستخدمة وسُكّان دنقلا خلال فترة الفونج التي تُعد أقلّ أجزاء التاريخ السوداني استكشافًا.

نمت عاصمة الفونج، سنار، لتصبح مركزاً تجارياً هاماً في إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، حيث استقر عددٌ كبيرٌ من التُجّار في المدينة في القرن السابع عشر الميلادي. وفي هذا الوقت تقريباً، أدخل الفونج نظام القاضي، الذي تم اختياره من العائلات المسلمة البارزة. في عام

تعود أعمال التنقيب الجارية للعمارة المحلية إلى القرنين 16-18. (تصوير: م. ركوايتس)

84/1683 م (1095 هـ) تم تعيين الفقيه محمد بن عيسى قاضياً لدنقلا من قبل الملك حسن ولد قشقش. ومن خلال الزواج من إحدى بنات الملك، تم انخراطه في السلطة المحلية ومُنح اللقب الفخري، سوار الدهب. هذا وقد تم نقل منصب القاضي إلى ابنهما هلالي.

لقد ضعف تأثير الفونج في المقاطعة الشمالية في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلادي. وفي منتصف القرن السابع عشر الميلادي غزتها قبيلة الشايقية وسيطرت على المنطقة الواقعة بين الضيقة والشلال الرابع، ونصّبت ملكاً صورياً في دنقلا. أخيراً وبأمر من نائب والي مصر، محمد علي باشا، غزا ابنه إسماعيل جنوب أراضيها في عام 1821م وهزم سلطنة الفونج،

تم التنقيب عن مسكن مك في مطلع العام لعام 2020 (الصورة اليسرى العلوية: م. فجقوو؛ اليمنى العلوية: م. ركوايتس)
و الرسائل من المسكن (الصورالسفلية: ك. كلافورا-جبكا)

ويمثّل هذا بداية الفترة الاستعمارية الحديثة وما نعرفه اليوم كدولة موحّدة «السودان» تشكلت في هذا الوقت.

آخر سُكّان دنقلا العجوز

في وقت ما بين القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلادي غادر معظم السُكّان دنقلا. كيف تم هجر هذا المكان المأهول منذ زمن طويل؟ يبدو أن الظروف البيئية المحيطة بالمكان هي أحد الأسباب. تُعتبر مجموعة المباني الواقعة في أقصى جنوب الموقع آخر منطقة مأهولة بالسُكّان. ويشرح بعض سُكّان قرية الغدار المجاورة أن الهجر يعود إلى صعوبة العيش هناك - صعوبة الحصول على المياه والحاجة إلى مساحة أكبر للعيش والزراعة. تقلّصت مساحة أرض الجرف (أرض ضفة النهر) وصارت أصغر، وأصبح من الصعب إنتاج محاصيل كافية. في القرن التاسع عشر الميلادي، أفاد مسؤول بريطاني كيف غطت الكثبان الرملية منازل القرية. ثمة إفادة أخرى تصف الوضع بأن الرمال المتراكمة في الشارع كانت أعلى من مستوى جدران المنازل.

اعتمدت الزراعة، منذ العصور القديمة على امتداد طول نهر النيل، على الفيضانات الموسمية. وتُسمى الأرض الواقعة في الجزء السفلي من ضفة النهر التي غمرتها مياه الفيضانات الموسمية بالجرف وتجلب مياه الفيضان تربة خصبة للغاية. ويمكن زراعة العديد من المحاصيل في الجروف، دون الحاجة إلى ضخ المياه عن طريق أجهزة الري مثل الشادوف والساقية. ما زال بعض السُكّان المحليين يزرعون مساحات صغيرة من الجروف بالقرب من الموقع. ومع ذلك، يبدو أنه لم يكن كافياً لدعم سُكّان القرية الذين كان عددهم كبيراً، ووفقًا لرواية شفهية فقد ذبحوا 40 بقرة لتناول وجبة في يوم الجمعة الأخير من رمضان.

منزل مدمّر في القرية المهجورة. (تصوير: ت. فوشيه)

أرض الجرف (أرض ضفة النهر) بالقرب من الموقع. (تصوير: ت. فوشيه)

هناك عائقٌ آخر للعيش في القرية القديمة، ألا وهو أنها جزء من الموقع الأثري المُسجّل تحت الحماية. وهذا يعني أن البناء الجديد واستخدام المواد الحديثة للمنشآت مُقيّد بموجب القانون. لم يأخذ آخر سُكّان دنقلا العجوز ممتلكاتهم أو أثاثهم من منازلهم لأنها ستجلب سُوء الحظ للمنازل الجديدة. وهذا هو السبب وراء بقاء العديد من الأثاث المنزلي في البيوت القديمة.